مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (5) العدد (7) 2021
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (5) No. (7) 2021

المركّب الكنائيّ ومستويات الفضاء الدّلاليّ في خُطب نهج البلاغة (قراءة أسلوبيّة في نماذج مُتخيَّرة)

د. تيسير جريكوس *

د. زكوان العبدو **

عبد اللطيف ياسين سليمان ***

(تاريخ الإيداع 22 /8 /2021. قُبِل للنشر في 11/16 /2021)

□ ملخّص □

هذا البحث محاولة لتسليط الأضواء على فاعليّة المركّب الكنائيّ في تشكيل الموثرات البلاغيّة في خُطب الإمام عليّ ، فممَّا لا شكّ فيه أنّ التّصوير الكنائيّ يُسهم بنحوٍ واضح في رفع الطّاقة الإبداعيّة داخل النّصّ الأدبيّ الذي توجد فيه ؛ لأنّه يُمثّل منبّهاً أسلوبيّاً يحمل دلالات مُتعدّدة ، تتنوّع درجاتها بتنوّع المسافة التّعبيريّة ، والدّلاليّة بين المنتوج الصّياغيّ والنّاتج الدّلاليّ المُراد للكناية ، ما يجعل محاولة القبض على أسرارها الإبداعيّة تمهّد لقراءات متنوّعة وفقاً لفهم القارئ ، ونضجه المعرفيّ ، بغية إعادة إنتاجها قرائيّاً وإبداعيّاً على يده من جديد .

الكلمات المفتاحيّة : نهج البلاغة ، الإمام عليّ ، صورة ، خطبة ، كناية ، فضاء دلاليّ ، أسلوبيّة ، معنى .

* أستاذ في قسم اللّغة العربيّة ، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، جامعة تشرين – اللاذقية .

** أستاذ مساعد في قسم اللّغة العربيّة ، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، جامعة تشرين – اللاذقيّة .

*** طالب دراسات عليا (دكتوراه) ، قسم اللّغة العربيّة ، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، جامعة تشرين – اللاذقيّة .

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (5) العدد (7) 2021
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (5) No. (7) 2021

The Metonymic Compound and Levels of Semantic Space in Nahj al-Balaghah Discourses (stylistic reading in selected models)

Dr.. Tayseer Gericus *
Dr.. Zakwan Al-Abdo **
Abdul Latif Yassin Suleiman ***

(Received 22/8 /2021. Accepted 16/11/2021)

□ ABSTRACT □

This research is an attempt to shed light on the effectiveness of the rhetorical compound in shaping the rhetorical influences in the sermons of Imam Ali. Undoubtedly, the allegorical depiction clearly contributes to raising the creative energy within the emotive text in which it is found; Because it represents a stylistic stimulus that carries multiple connotations.

that carry multiple connotations, varying degrees of varying degrees of expressive and semantic distance between the formative product and the semantic product intended for the metonymy, which makes the attempt to capture its creative secrets pave the way for me to re-read, in accordance with the reader's diverse production of readings.

key words : Nahj al-Balaghah, Imam Ali, picture, sermon, metaphor, semantic space, stylistics, meaning .

*Professor at the Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia.
** Professor at the Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia.
*** Graduate student - PhD, Department of Arabic Language, College of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia.

مقدّمة :

تعدّ المركّبات الكنائيّة تقنيّة لغويّة أسلوبيّة تشكّل من خلال تمركزها وتموضعها في السّياق النَّصِّيّ إيحاءات متنوّعة ، تغني هذا السّياق ، وتفتح آفاق قراءاته ، ولذلك فإنّ اللّغة الإبداعيّة تكون أغنى من غيرها بهذه الخصيصة؛ لأنّها تجاوزت حالة التّواصل إلى حالة التّأثير ، ممّا يجعلها بحاجة إلى إعادة التّكوين القرائيّ ، والتّأويل بغية استكشاف عناصر الإبداع الكامنة فيها ، وعندما تتشكّل المركّبات الكنائيّة وفقاً لدرجات متباينة من الدّلالة ؛ فإنّ دائرة الإيحاء النّاجمة عنها تتّسع ، وتضيق وفاقاً لبعد (معنى المعنى) ، أو قربه النّاجمين عن كثرة الوسائط ، أو قلّتها بينه وبين المعنى التّفسيريّ الأوّل ، ما يجعل المُتلقّي بحاجة إلى تبيّن الظّواهر السّياقيّة التي توضع فيها هذه الصّور الكنائيّة ، والعلائق الدّلاليّة المتعدّدة التي تحكمها بغية استكشافها ، وتحديد كنهها ، ومعرفة دورها الذي تُؤدّيه في الخطاب .

أهمِيَّة البحث :

تأتي أهمِيّة البحث من أخذه بعين الحسبان انقسام الفضاء الدّلاليّ للمركّب الكنائيّ في خُطب الإمام عليّ إلى أكثر من نمط وفقاً للبعد المُتشكِّل بين المعنى التّفسيريّ الظّاهر ، والمعنى التّأويليّ العميق ، من دون أن يغفل أهمِيّة التّركيز على المعطى المضمونيّ لهذه المركّبات الكنائيّة ، وفاقاً لتفاعلاتها في السّياق النَّصِّيّ .

منهج البحث :

إنّ المنهج الوصفيّ التّحليليّ هو المنهج المُتّبع في هذه الدّراسة من خلال تحديد الظّواهر الكنائيّة ، وتوصيفها ، واستنطاق دلالاتها البعيدة المُرادة المنزلقة وفقاً لحالة التّجاور السّياقيّ ، والمدلوليّ مع الدّلالات الظّاهرة ، ممّا يُثري النّصّ ، ويُضيف إليه ، ويرتقي به إلى منزلة النّصّ الأثر لا الخبر .

المركّب الكنائي ومستويات الفضاء الدّلاليّ

أ- الكناية في اللّغة والاصطلاح البلاغيّ :

عند تتبّع المعاني اللّغويّة لكلمة (كناية) في المعجمات ، يلحظ الدّارس المعاني الآتية : " الكناية أن تتكلّم بشيء ، وتريد غيره ، وكنّى عن الأمر بغيره كناية ، يعني إذا تكلّم بغيره ، ممّا يُستدلّ عليه " [1] ، ومن هذا المعنى اللّغويّ يلحظ الباحث أنّ هذا الجذر يدلّ على إخفاء شيء لدلالة آخر عليه، لوجود علاقة لزوميّة بينهما ؛ أي يلزم من ذكر أحدهما استدعاء الآخر استدعاءً ذهنيّاً ، فالشّيء الذي تمّ إخفاؤه هو المطلوب ، والمراد ، وقد سقط لفظيّاً ، وحضر دلاليّاً ، والشّيء الآخر غير المُراد قد أثبت في اللفظ والتّركيب ، ولا يبتعد التّعريف الاصطلاحي للكناية عن هذه الدّلالات ؛ إذ عند الرّجوع إلى المعجمات الاصطلاحيّة ، وإلى كتب البلاغة يلحظ الدّارس تعريفات كثيرة لا تخرج عن التّعريفات الآتية :

" الكناية : كلام استتر المراد منه بالاستعمال ، وإن كان معناه ظاهراً في اللّغة سواء كان المُراد به الحقيقة ، أو المجاز .... والكناية عند علماء البيان هي أن يعبّر عن شيء لفظاً كان أو معنى بلفظ غير صريح في الدّلالة عليه

---

[1] ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم . لسان العرب ، منشورات الأعلميّ للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2005 م ، مادّة (ك ن ي) .

لغرض من الأغراض كالإبهام على السّامع ، نحو : جاء فلان ، أو لنوع فصاحة ، نحو : فلان كثير الرّماد ؛ أي كثير القرى " [1] .

يلحظ في هذا التّعريف حضور ثنائيّة الحضور والغياب عند التّكلّم على الماهيّة البلاغيّة للكناية ، مُتّخذاً من حضور بعض الدّوال لفظيّاً دليلاً على وجود مدلولات أخرى غائبة عن السّياق المقاليّ للنّصّ تكون مقصودة ، ومرادة من قبل صاحبه ، أمّا الإمام عبد القاهر الجرجانيّ فيُشير إلى حالة المجاورة البلاغيّة التي تنبني عليها الصّورة الكنائيّة ؛ إذ يقول: " والمُراد بالكناية ههنا أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللّغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ، وردفه في الوجود ، فيومئ به إليه ، ويجعله دليلاً عليه " [2] ، ففي هذا الكلام يُشير صاحبه إلى كون الكناية تقوم على التماس بين المدلولات ؛ إذ إنّ المدلول المراد يقع في منطقة حافّة ، وقريبة ، وتتماسّ بشكل مباشر مع مدلول الدّالّ المذكور الذي هو محلّ الكناية ، وموضعها في النّصّ .

فهنا يبرز واضحاً أنّ فهم الكناية قائم على عمليّة انتقال ذهنيّ يقوم بها المُتلقّي من المعنى السّطحيّ إلى معنى آخر عميق ينطلق من المعنى الأوّل لتماسّه معه مباشرة ، ويستقرّ في منطقة إبداعيّة مفتوحة على دلالات كنائيّة تتعدّد بحسب فنّيّة الصّورة الكنائيّة ، وكيفيّة تشكيلها ، وتسييقها في النّصّ ، وربّما تبعاً لفهم المُتلقّي وذائقته الفنّيّة، فـ "هي أن تقول المعنى ومعنى المعنى تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة ، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ، ثمّ يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر" [3] .

يُلحظ هنا بروز ثنائيّة المعنى ، ومعنى المعنى عند الدّخول إلى العالم التّفسيريّ للكناية ، فأوّلهما يحمل دلالة تفسيريّة سطحيّة ظاهريّة ، في حين يحمل الثّاني دلالة تأويليّة عميقة باطنيّة مشتقّة من الدّلالة الأولى ، ومتولّدة عنها ، ممّا يجعل من الكناية بنية لغويّة ثنائيّة الإنتاج ؛ إذ تُنتج المعنى الحقيقيّ ، والمعنى المجازيّ الكامن وراءه في الآن ذاته، وهذا ما يلحظ أنّه مأخوذ بعين الحسبان عند بعض النّقّاد الذين عرّفوا الكناية بقولهم : " الكناية لفظ أُريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ " [4] ؛ إذ إنّ هذا التّعريف يدلّ على جواز إرادة المعنى الحقيقيّ من لفظ الكناية ، وجواز أن يكون المعنى المجازيّ المتولّد لزوماً عن المعنى الأوّل بطريقة الاستدعاء المنطقيّ أو الواقعيّ مراداً من اللفظ الكنائيّ ، وهذا يقود الباحث إلى الخلاف الواقع بين البلاغيّين حول ماهيّة الكناية هل تنتمي إلى حقل الحقيقة ، أم إلى عالم المجاز ، أم تقع في منطقة وسطى بينهما ، وقد عرّف الإمام عبد القاهر الجرجاني المجاز بقوله : " وأمّا المجاز فكلّ كلمة أريد لها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأوّل ، فهي مجاز ، وإن شئت قلت كلّ كلمة جزتَ بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له ، من غير أن تستأنف فيها وضعاً ، لملاحظة ما

---

[1] الجرجانيّ ، عليّ بن محمّد السّيّد الشّريف . معجم التّعريفات ، تحقيق ودراسة محمّد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع والتّصدير ، القاهرة – مصر ، 2004 م ، ص157 .

[2] الجرجانيّ ، الإمام عبد القاهر . دلائل الإعجاز ، تصحيح وتعليق : السّيّد محمّد رشيد رضا ، مديريّة الكتب والمطبوعات ، سوريا ، 1988-1989 م ، ص52 .

[3] المصدر السّابق ، ص203 .

[4] القزوينيّ ، الخطيب . الإيضاح في علوم البلاغة ، المعاني والبيان والبديع ، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدّين ، منشورات دار الكتب العلميّة ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2003 م ، ص241 .

تجوز بها إليه ، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز "[1] وقد أثيرت احتجاجات ، وردود ، ومناقشات في هذه القضيّة الخلافيّة .

ومرّد هذا الخلاف يعود إلى سببين اثنين :

الأوّل : ورود الكناية وفقاً للمعيار التّعبيري والإسناديّ في معظم حالاتها ، فعندما يقرأ الدّارس التّعبير الكنائيّ فلا يجد فيه غالباً انزياحاً على المستوى الامتداديّ للبنى النَّصِيّة المُتحقِّقة (باستثناء كناية النّسبة) ، فلا يجد خرقاً في الإسناد يخالف المألوف المنطقيّ للواقع المعيش ، أو للتّعبير الفنّيّ ، ففي الكناية" لا نقرأ خرقاً للعادة التّعبيريّة على المستوى التّراصفيّ للبنية ، ففي عبارة (لديه ريشة سهلة) نقرأ تعبيراً له وجود في الواقع الخارجيّ ، وهو تعبير يكنّى به عن الكتابة بخفّة " [2] ، ممّا يجعل الكناية ملتبسة بين الحقيقة والمجاز لانتماء التّعبير الكنائيّ إلى منطقة الملاءمة ، أو عدم المنافرة الإسناديّة في مثل هذه الحالات .

الثاني : قيام الكناية على حالة المجاورة ؛ أي أنّ الانزلاق الدّلاليّ الذي يشعّ من ثناياها بالانتقال من المعنى الظّاهر إلى الخفيّ لا يمكن أن يحمل سمة الدّهشة في الحالات كلّها بعكس الرّابط التّماثليّ الذي تقوم عليه الصّورة الاستعاريّة ؛ إذ إنّها تقوم على الرّبط في أغلب الأحيان بين عنصرين متباعدين إلى حدّ كبير ، ممّا يحقّق عنصر المفاجأة ، والدّهشة ، ويكسبها صفة المجاز بشكل ملحوظ ، في حين أنّ الرّابط الكنائيّ التّجاوريّ لا يمكن توسّعه إلى اللانهاية ، بل يكون تنوّعه محصوراً في أبعاد محدودة ، ممّا يجعل التّحليل الأسلوبيّ معرّضاً لإغفال صور كنائيّة عدّة ، فالصّورة الاستعاريّة تكون بصورة عامّة تمثيلاً غير متوقّع ، وغريباً عن النّصّ ، في حين أنّ الصّورة الكنائيّة لا تدخل أيّ تصوّر غريب عن سياق النّصّ ، وفي أحيان كثيرة تبدو للدّارس كأنّها رؤية مبسّطة عن الواقع فحسب [3] .

وبسبب من هذين الأمرين تردّد بعض الباحثين في عدّ الكناية باباً من أبواب المجاز ، حتّى إنّ بعضهم عدّها تقع في منطقة وسطى بين المجاز والحقيقة من مثل د. محمّد عبد المطّلب الذي يقول : " ويُلاحظ أنّ عمليّة التّجاوز للمستوى السّطحي مرتبطة أساساً بعمليّة (القصد) مع الاحتفاظ للمعنى الموازي بحقّ الحضور التّقديريّ ؛ لأنّ تغييبه تماماً يعني الانتقال من بنية الكناية إلى بنية المجاز عموماً ، فالكناية يتجاذبها طرفان حقيقة ومجاز على النّحو الآتي :

حقيقة ← الكناية → مجاز

وهذا التّجاذب لا يقتضي غلبة طرف على الآخر ، حتّى تحافظ البنية على حقيقتها المعرفيّة المفارقة للحقيقة والمجاز ... ؛ إذ إنّ ظهور النّاتج الكنائيّ يمتنع معه ظهور القرائن الحاجبة للمعنى الحقيقيّ ، وهو ما يتيح إدراك ناتجين على صعيد واحد وهو ما لا يمكن تحقّقه في بنية المجاز " [4] .

ففي هذا الكلام ما يشي صراحة بأنّ الكناية لا يمكن عدّها بنية مجازيّة ؛ لأنّها تختلف عن المجاز ، لعدم تحقّق أحد شروطه الجوهريّة فيها ، وهو عدم إرادة المعنى الحقيقيّ في الصّورة الكنائيّة ، كما أنّه جعل المعنيين المجازيّ والحقيقيّ في درجة واحدة من القصديّة في الكناية ، وجعل المعنى المجازيّ الذي تنتجه الكناية غير قادر على حجب

---

[1] الجرجاني، الإمام عبد القاهر . أسرار البلاغة في علم البيان ، صحّحه وعلّق حواشيه السّيد محمّد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، 1981 م ، ص304 .

[2] جريكوس ، د. تيسير . بلاغة الصّورة في شعر عبد الوهّاب البيّاتي – دراسة تحليليّة جماليّة ، إشراف أ. د. أحمد كمال زكي ، جامعة عين شمس ، مصر ، 1996 م ، ص282 .

[3] يُنظر: مورو ، فرانسوا . الصّورة الأدبيّة، ترجمة الدّكتور علي نجيب إبراهيم ، دار الينابيع ، دمشق ، 1995 م ، ص81–82 .

[4] عبد المطّلب، د. محمّد . البلاغة العربيّة – قراءة أخرى، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر ، لونجمان، ط2 ، 2007 م ، ص187 .

المعنى الحقيقيّ بحال من الأحوال ، بعكس بعض الباحثين المعاصرين الذين عدّوا الكناية مجازاً ، لقيامها على حالة من العدول الدّلاليّ ؛ لكونها تقوم على توسّع الأديب في كلامه من خلال الانزياح عن الخطاب المباشر، ممّا يكسب النّصّ صفة الأدبيّة من خلال كسر العلاقة النّمطيّة بين الدّالّ والمدلول [1] .

كما أنّ أحد الباحثين المعاصرين وهو د. محمّد الدّسوقي ألّف مبحثاً ضافياً في التّصوير الكنائيّ، وناقش مسألة عدّ الكناية من المجاز مقدّماً أدلّة عدّة على مجازيّتها، وهي الأدلّة الآتية :

أوّلاً : شعريّة الفنّ الكنائي التي تتجلّى في نقل التّعبير الكنائيّ من فضاء ساكن إلى فضاء حركيّ تحوم فيه دلالات جديدة عدّة يكون السّياق الشّعريّ بمنزلة القلب النّابض المولّد لها، والمغذّي لهذه التّعابير مبعداً إيّاها عن ركودها ، وسكونيّتها .

ثانياً : تتمثّل قرينة الفنّ الكنائيّ في كونها معنويّة يدخل السّياق بدور كبير في تصوّرها ، وتمثيلها ، فهذا الفنّ هو ذاته قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي فيه ؛ لأنّه يترك دلالته الظّاهرة ، ويتقشّر جلده ، ليظهر المعنى الكامن وراءه .

ثالثاً : استحالة تفسير آيات قرآنيّة عديدة استخدم فيها الفنّ الكنائي تفسيراً حرفيّاً ، لما في ذلك من مفسدة في التّأويل ، وخلل في التّقشير ، نحو قوله تعالى : ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ [2] ، وهي كناية عن الكرم الإلهيّ ، فتفسير هذه الآية وفقاً للمعنى الكنائيّ الأوّل يحيل إلى التّشبيه ، والتّجسيم ، والعياذ بالله .

رابعاً : قد تكون القرينة المانعة من تصوّر المعنى الحقيقيّ الظّرف الاجتماعيّ والزّمانيّ الذي يوجد فيه التّعبير الكنائيّ .

خامساً : يتّسم التّعبير الكنائيّ بإحدى السمات الأدبيّة المهمّة، وهي عمليّة التّحوّل الدّلاليّ؛ لأنّ التّعبير الكنائيّ يبنى على مفهومين :

المفهوم الأوّل : ساذج لا يحتاج إلى كدّ ذهن ، ولكنّه يولّد في ذهن المُتلقّي شغفاً لمعرفة الدّالّ الثاني (المراد) ؛ لذلك فهذا الدّالّ هو (المثير) لعقليّة المُتلقّي .

المفهوم الثّاني : هو هدف المرسل ، وهو فنّيّة التّعبير [3] ، وفي هذه الأدلّة إثبات واضح وكافٍ يؤكّد أنّ الكناية بنية مجازيّة مغايرة للحقيقة ، وأنّ المجاز أوسع من الكناية ، والكناية مظهر من مظاهره ، وشكل من أشكاله المتعدّدة ، فكلّ كناية مجاز ، ولكن ليس كلّ مجاز كناية بالضّرورة .

وقد عرّف بعض الباحثين (الكناية) آخذاً بعين الحسبان انتماءها إلى المجاز ، ومراتب التّعبير الكنائي المُتعدّدة ؛ إذ يقول : " الكناية اصطلاحاً هي تعبير يُساق ولا يُراد لذاته ، بل يُراد لازمه ؛ إذ يلجأ الأديب – أحياناً – إلى ترك التّصريح بمراده مكتفياً بذكر ما يدلّ عليه تلميحاً ، أو رمزاً ، وإشارة ، أو تعريضاً " [4] .

---

[1] يُنظر : المدني ، كريمة نوماس محمّد . البنيات الأسلوبيّة للكناية في الرّسائل المشرقيّة الفنّيّة إبّان القرن الثامن للهجرة ، مجلّة أهل البيت ، العراق ، ع16 ، السّنة العاشرة ، حزيران ، 2014 م ، ص221 .

[2] سورة المائدة ، الآية 64 .

[3] يُنظر : الدّسوقي ، د. محمّد السّيّد أحمد . شعريّة الفنّ الكنائيّ بين البُعد المعجميّ والفضاء الدّلاليّ المنفتح ، دار العلم والإيمان للنّشر والتّوزيع ، الإسكندريّة ، مصر ، ط1 ، 2008 ، من ص96 إلى ص103 .

[4] عبد الخالق ، د. ربيعي محمّد علي . البلاغة العربيّة وسائلها وغايتها في التّصوير البيانيّ ، دار المعرفة الجامعيّة ، الإسكندريّة ، 1989 م ، ص80 .

يشير هذا الباحث في تعريفه صراحة إلى أنّ المُراد بالكناية هو معناها اللازم لا الأوّل ؛ لأنّها تقوم على ترك التّصريح بالمراد ، فتحت المعنى الظّاهر يكمن المعنى المطلوب ، كما أنّه يشير إلى مراتب الفنّ الكنائيّ ، وهي التّلميح القائم على الكناية البعيدة المرتكزة على كثرة الوسائط بين المعنيين الظّاهر ، والباطن الكنائيّ ، فهو دالّ على الإشارة البعيدة مع نوع من الخفاء [1] ، أمّا الرّمز فهو قائم على الإشارة إلى القريب ، وهو دالٌّ على الكناية التي تنعدم فيها الوسائط ، فلا يوجد واسطة بين معنييها الحقيقيّ والمجازيّ ، فهي مشهورة لدى كلّ النّاس[2] ، وتتّسم الكناية القائمة على الإشارة بقلّة الوسائط، والوضوح، وبظهور التّلازم بين معنييها الحقيقيّ ، والمجازيّ ، بشكل جليّ [3] .

أمّا التّعريض ، فهو يدلّ على المعنى الحاصل عند اللفظ لا به ؛ أي المعنى المتولّد من السّياق ، وقرائن الأحوال [4] ، وعلى أساس هذه المراتب الكنائيّة ينقسم الفضاء الدّلاليّ للفنّ الكنائيّ إلى أكثر من نوع، وهي فضاء دلاليّ قريب، وفضاء دلاليّ بعيد ، وفضاء دلاليّ غائم ، وانقسام الفضاء الكنائيّ إلى هذه المراتب نابع من أخذ أكثر من قضيّة بعين الحسبان ، وهي القضايا الآتية :

أوّلاً : مدى المسافة بين المنتج الصّياغيّ الأوّل ، والمنتج الدّلاليّ الثاني ، فالتّعابير الكنائيّة تتباين فيما بينها بالنّسبة إلى هذه المسافة .

ثانياً: يتدخّل السّياق الذي يوجد فيه التّعبير الكنائيّ بدور كبير، ورئيس في تحديد ماهيّة هذا الفضاء .

ثالثاً : يؤدّي المُتغيِّر الثّقافي دوراً كبيراً في تحديد طبيعة هذه الفضاءات .

رابعاً : يُؤدّي المُتلقّي دوراً واضحاً في تحديد ماهيّة الفضاء الدّلاليّ للتّعبير الكنائيّ بحسب فهمه الدّقيق للعلاقة بين الدّالّ (الأوّل) ، والدّال (الثاني) ، وهذا يتعلّق أيضاً بالظّرف الزّمانيّ ، والعلائق الثّقافيّة المنتجة لهذا النّمط من التّعبير الفنّيّ [5] .

وقد آثر البحث أن يقرأ تشكّلات المركّب الكنائيّ في خطب الإمام عليّ وفقاً لتعدّد أنماط الفضاءات الدّلاليّة لها، آخذاً ما تقدّم بعين الحسبان بغية استكناه أسرار التّشكّلات الأسلوبيّة للمركّب الكنائيّ في هذه الخُطب المدروسة ، مبتعداً عن التّقسيمات القديمة للكناية [6] ، محاولاً إدراك فاعليّة السّياق في تشكيل هذه المركّبات الكنائيّة ، وتكوينها الفنّيّ ، ممّا دفع بالبحث إلى أن يقسم مظاهر التّعبير الكنائيّ في الخطب محلّ الدّراسة إلى عدّة مستويات كما سيأتي.

---

[1] يُنظر: السّكّاكيّ ، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمّد بن عليّ . مفتاح العلوم ، ضبط وتعليق نعيم زرزور ، دار الكتب العلميّة ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1987 م ، ص411 .

[2] يُنظر : السّكّاكي . مفتاح العلوم ، ص411 . وعبد الخالق ، د. ربيعي محمّد علي . البلاغة العربيّة وسائلها وغايتها في التّصوير البيانيّ ، ص80 .

[3] يُنظر : السّكّاكي . مفتاح العلوم ، ص411 .

[4] يُنظر : عبد الخالق ، د. ربيعي محمّد علي . البلاغة العربيّة وسائلها وغايتها في التّصوير البيانيّ ، ص81 .

[5] يُنظر : الدّسوقي ، د. محمّد السّيّد أحمد . شعريّة الفنّ الكنائيّ بين البعد المعجميّ والفضاء الدّلاليّ المنفتح ، ص110–112 .

[6] تقسم الكناية بحسب المكنّى عنه إلى ثلاثة أقسام :

1- الكناية عن صفة: ضابطها أن يصرّح بالموصوف وبالنّسبة إليه، ولا تذكر الصّفة ، ويذكر في الكلام ما يدلّ عليه ، من مثل : فلان كبير القلب ، كناية عن صفة الرّحمة .

2- الكناية عن موصوف : ضابطها أن يصرّح بالصّفة ، ولا يصرّح بالموصوف المطلوب نسبة الصّفة إليه ، ولكن يذكر مكانه صفة تختصّ به ، وتدلّ عليه ، نحو لغة الضّاد كناية عن موصوف هو اللّغة العربيّة .

3- كناية عن نسبة : ضابطها أن يصرّح بالصّفة والموصوف ، ولا يصرّح بالنّسبة بينهما ، ولكن يذكر نسبة أخرى تستلزمها من مثل : مثلك لا يبخل ، ففي نفي البخل عن مثله نفي البخل عنه على طريقة الكناية .

ب- الفضاء الدّلاليّ القريب :

يتميّز المُركّب الكنائيّ في هذه الحالة بقربه إلى فهم المُتلقّي ؛ إذ يدلّ على معناه دلالة واضحة ؛ إذ " يتّسم هذا الفضاء كما هو واضح من عنوانه بقرب المسافة بين المنتج الصّياغيّ ، والمنتج الدّلاليّ الثاني (المُراد) ، والعلاقة قويّة بينهما مع قلّة في الوسائط الموصلة إليه ، وهذا النّوع يتّسم بقلّة الوسائط ، وقرب المسافة بين المنتج الصّياغيّ ، وبين الدّالّ الثاني (المراد) ، مع وضوح في الفضاء الدّلاليّ وقربه " [1] ، فهذا الفضاء يفرز نوعاً من الصّور الكنائيّة القائمة على اختزال الوسائط التّعبيريّة بين المعنى ومعنى المعنى وقلّتها ووضوحها في الآن ذاته ، من ذلك قول الإمام عليّ من خطبة له تشتمل على الملاحم :

" لكأنّي أنظرُ إلى ضلّيلٍ قَد نعِقَ بالشّامِ ، وفحصَ برایاتِهِ في ضواحي كوفَانَ ، فإذا فَغَرَتْ فاغرتُهُ ، واشتدَّتْ شَكيمتُهُ ، وثقِلتْ في الأرضِ وطأتُهُ ، عضَّتِ الفتنةُ أبناءَهَا بأنيابِها ، وماجتِ الحربُ بأمواجِهَا ، وبدا منَ الأيّامِ كلوحُهَا، ومن الليالي كدوحُهَا، فإذا أينَعَ زرعُهُ ، وقامَ على نيعِهِ ، وهدرتْ شقاشقُهُ ، وبرقتْ بوارقُهُ ، عُقِدَتْ راياتُ الفتنِ المعضلة ، وأقبلن كالليلِ المظلمِ، والبحرِ المُلتطمِ، هذا وكمْ يخرقُ الكوفةَ من قاصفٍ، وتمرّ عليها من عاصفٍ، وعنْ قليلٍ تلتفُّ القرونُ بالقرونِ ، ويُحْصَدُ القائمُ ، ويُحْطَمُ المحصودُ " [2] .

في هذا المقطع من الخطبة يُشير الإمام عليّ إلى أمور مستقبليّة توقّع حصولها بناءً على معطيات ، ووقائع حاضرة لديه ، وفي زمنه ، فنقل للمُتلقّي الصّورة المُستقبليّة بأسلوب أدبيّ ، وفنّيٍّ رفيع ، زاخر بالصّور البيانيّة المُتشابكة دلاليّاً مع بعضها بغية تكوين المشهد الكلّيّ لهذا (الضّليل النّاعق) ، وما سيثيره من فتن ، وحروب في منطقة الكوفة ، ما حدا به أن يستخدم الأسلوب الكنائيّ للتّدليل على أفعاله ، ونتائجها ، فاتحاً للمُتلقّي أفق التّوقّع ، والتّأويل ، والاستشراف المُستقبليّ لهذه الأحداث المذكورة على النّحو الآتي :

الصّورة الكنائيّة الأولى : فحص برایاته نواحي كوفان : كنّى بهذا الفحص بالرّايات عن بلوغه أرض كوفان ، واتّخاذه منها حجراً يتمركز فيه ، ويختبئ في أوكاره ؛ ليتسنّى له تدبير المؤامرات ، وتجهيز عدّته ليفعل ما يريد من فتن، وحروب، وضلالات في المدينة المذكورة ، مُشبّهاً هذا الضّليل بالقطاة التي تتّخذ لها مفصحاً ؛ أي عشّاً ، ووكراً في الأرض كي تختبئ فيه عن الأعين ، ممّا يُمكّنه من إيجاد الجوّ الأوّليّ الملائم لفعل ما يشاء .

وعندما يكتمل له جوّ التّدبير والتّخطيط في خفاء عن النّظّار ، ويستجمع كلّ قواه ، وعدّته في مأمن منهم فإنّه سرعان ما يفعل الأفاعيل، وينتقل إلى مرحلة التّنفيذ العمليّ لما رسمه، وخطّطه ، فكنّى الإمام عليّ عن انتقاله إلى هذه المرحلة بصور كنائيّة عدّة ؛ إذ يقول في الصّورة الكنائيّة الثانية: " فإذا فغرت فاغرته " ، وفي هذا الوصف كناية عن تقحّمه لأهل الكوفة، وانقضاضه عليهم ، كما ينقضّ السّبع المفترس على فريسته ، من دون هوادة ولا رحمة ، ويدعم هذا الوصف بصورة كنائيّة ثالثة تؤكّده ، وهي " اشتدّت شكيمته " ، ففي هذا التّركيب الكنائيّ دلالة على شدّة قوّته ، واستجماع شِرَّته ، وبلوغه درجة كبيرة من القسوة .

يُنظر : الأمين ، محاسن محمّد . الكناية في شعر حافظ إبراهيم ، مجلّة العلوم الإنسانيّة ، السّودان ، مجلّد 18 (3) ، 2017 م ، ص48 . وللاستزادة في معرفة هذه التّقسيمات القديمة ، والتّقليديّة للكناية ، يُنظر : كتب البلاغة المتنوّعة من مثل : السّكّاكي . مفتاح العلوم . والقزوينيّ . الإيضاح . والعاكوب ، د. عيسى . المفصّل في علوم البلاغة ، البديع والبيان والمعاني ، منشورات جامعة حلب ، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، 2000م . وعبد المطّلب ، د. محمّد . البلاغة العربيّة – قراءة أخرى ، وغيرها من المصادر والمراجع البلاغيّة .

[1] الدّسوقي ، د. محمّد السّيّد أحمد . شعريّة الفنّ الكنائيّ بين البُعد المعجميّ والفضاء الدّلالي المنفتح ، ص113 .

[2] المعتزلي ، ابن أبي الحديد . شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربيّ ، بغداد ، ط1 ، 2007 م ، م4 ، ج65/7 .

وتنبع مفردات هذه الصّورة من موجودات البيئة المعيشة التي استقى الإمام عليّ صوراً كثيرة من خطبه من موجوداتها الحسّيّة ، وكائناتها الصّحراويّة ، فالشّكيمة هي حديدة توضع في فم الفرس الجموح ، المُتّصف بالقوّة ؛ كي تهدئ من ثورته واندفاعه [1] .

ففي هذه الصّورة أصبح هذا الضّلّيل مماثلاً في حالته هذه الفرس ، ومشابهاً له ، ما استدعى وضع الشّكيمة المُخفّفة من حدّة الاندفاع ، وعند بلوغ هذا الضّلّيل هذه المرحلة ، أو وصوله إلى هذه الدّرجة ، فإنّه سرعان ما ينقل شرّه، وفعله الخبيث إلى ساحة التّنفيذ ، وفضاء العمل الفعليّ المُتمثّلة هنا بـ (ضواحي الكوفة) ، وتعضد هذه الصّورة صورة كنائيّة رابعة ، هي " ثقلت في الأرض وطأته " ، وفي هذا التّعبير الكنائيّ دلالة على شدّة سطوته ، وازدياد شرّه في ضواحي الكوفة التي كنّى عنها هنا بالأرض إمعاناً منه بالدّلالة على اتّساع رقعة شرّه ، وفعله المشين ؛ إذ إنّ الكوفة لا تعدو أن تكون جزءاً محدّداً من الأرض وليست كلّها ، إلاّ أنّ التّعبير عنها بهذا الاسم الشّامل لبقاع الدّنيا هنا كان ملمحاً أسلوبيّاً هادفاً إلى التّكنية عن شرّه المستطير الممتدّ ، أمّا في الجمل التي وقعت جواباً للشّرط الذي كانت الجمل السّابقة فعلاً له ، وهي :

- عضّت الفتنة أبناءها بأنيابها .
- وماجت الحرب بأمواجها .
- وبدا من الأيّام كلوحها ، ومن الليالي كدوحها .

فيُلحظ في الجملة الأولى دلالة كنائيّة تشي بازدياد وتيرة الفتنة ، واشتعال شرارتها ، وامتداد نيرانها حتّى تصيب بألمها أهلها ، وأصحابها الذين كانوا سبباً في إيجادها بغية الاستفادة منها ، إلاّ أنّها ستنقلب شرّاً عليهم بعد اشتدادها واستعارها .

أمّا في الجملة الثانية ، فقد عبّرت الدّلالة الكنائيّة فيها عن حالة الأهوال المتراكمة الشّديدة التي تنتج عن الحرب ، وعن الاضطراب الكبير الذي تولّده هذه الفتنة في بلدة الكوفة ، مُشبّهاً الحرب بالبحر الهائج ذي الأمواج المرتفعة المتلاطمة ، ذات الأصوات والجلبة المخيفة .

أمّا في الجملة الثالثة ، فقد تحدّث عن زمان الفتنة المخيف ، مُكنّياً بها عن كثرة ما يلقى فيه النّاس من الشّرور والمصائب ، وما يعركون فيه من النّوازل ، واستخدم للتّعبير عن ذلك الظّرفين الزّمانيّين (الأيّام) و (الليالي) ، مُكنِّياً بهذا الطّباق الحاصل بين هاتين اللفظتين عن دوام حالة الخوف ، والرّعب تلك في زمان الفتنة المذكورة ، وعدم انقطاعها في وقت اشتدادها كلّه .

ثمّ يأتي الإمام عليّ بجملة شرطيّة مكوّنة من أفعال شرطيّة عدّة ، وجمل جواب للشّرط متعدّدة ، وكلّها قائمة على التّعبير الكنائيّ ، كما في الحالة الأولى ، وقد وردت على الشّكل الآتي :

1-	أينع زرعه	جمل أفعال الشّرط
2-	قام على نيعه	
3-	هدرت شقاشقه	
4-	برقت بوارقه	

[1] ابن منظور . لسان العرب ، مادّة (ش ك م) .

يُلحظ في الجملة الأولى كناية دالّة على تمام الفعل ، فعل الضّلال الذي ينشره هذا الضّلّيل في المكان المذكور ، مُشبّهاً عمله الفاسد وقيامه بالفتنة بالزّرع النّاضج .

أمّا في الجملة الثانية ، فقد كانت الكناية دالّة أيضاً على بلوغ هذا الضّلّيل غاية أعماله في السّوء ، والفتنة ، والشّرّ .

أمّا في الجملة الثالثة ، فقد كانت الكناية هنا دالّة على علوّ صوت فتنته ، وضلاله ، حتّى يسمعها الأبعدون كما الأقربون ، وهذا العلوّ يكون من خلال أقواله المخيفة ، وأفعاله المؤذية التي تعمّ جميع من تصل إليه ، مُشبّهاً إيّاه بالبعير الغاضب الذي يصدر شقشقةً من فمه عند الهياج [1] ، وربّما يكون مُشبّهاً إيّاه بالسّحائب ذي الشّقائق [2] ؛ أي الذي يصدر أصواتاً مخيفة يسمعها جميع النّاس ، وكذلك فتنته تصل إلى أهالي البلاد المذكور جميعهم ، بما تنشره بينهم من قبيح الفعل والقول .

وفي جملة (برقت بوارقه) كناية عن وضوح خبث أفعاله ، وسوء مراده ، وتصريحه عمّا يضمره من سوء ، وشرّ ، مُشبِّهاً إيّاه أيضاً بالسّحاب الذي يلمع ، ويبرق ، وينشر الضّوء في كلّ مكان يصل إليه .

1- عقدت رايات الفتن المعضلة
2- وأقبلن كالليل المظلم — جمل جواب الشّرط

في الجملة الأولى يلحظ الدّارس كناية عن قيام الفتنة ، وعلوّها ، وانتشارها ، وصعوبة التّخلّص من آثارها الوخيمة ، وكثرة الفتن المتولّدة عنها بعدها .

أمّا في الجملة الثانية ، فتدلّ الكناية فيها على حالة الضّلال المرافقة للفتن المذكورة ؛ إذ يصعب على الخلق الاهتداء إلى وجه الحقّ الصّحيح عند انتشار هذه الفتن ، والأزمات كما يصعب الاهتداء في ظلمة الليل للسّالك لانتشار ظلامه ، وسدّه الآفاق عليه ، كما أنّ فيها كناية عن اختلاط النّاس بعضها ببعض ، ودخولهم في حالة من الحيرة ، وعدم الاهتداء ، والاضطراب الشّديد النّاتج عن هذا الاختلاط المخيف الذي يشبه ارتطام أمواج البحار ببعضها .

ثمّ يختم الإمام عليّ هذه الخطبة بخمس جمل فعليّة ، وكلّها تعابير كنائيّة ذات دلالات إيحائيّة واضحة ؛ إذ يقول : " وكم يخرق الكوفة من قاصف ، ويمرُّ عليها من عاصف " كناية عمّا ستتعرّض له الكوفة من المصائب ، والحروب ، والشّدائد في قابل الزّمان . ويقول : " وعن قليل تلتفّ القرون بالقرون ، ويُحْصَدُ القائم ويُحطَم المحصود " كناية عن لحوق المُتأخّرين من النّاس ، والأمم بمن لحقهم من الموتى، وعن أنّ الموت سيجمعهم كلّهم في باطن الأرض، وسيفنيهم عن بكرة أبيهم ، وستفنى أجسادهم في باطن التّراب .

أمّا ابن أبي الحديد المعتزليّ ، فقد عبّر بالكنايات التي تدلّ عليها الجمل الثلاث الأخيرة ، وفقاً لما جرى في التّاريخ الإسلاميّ من زوال الدّولة الأمويّة وقيام الدّولة العبّاسيّة محلّها ؛ إذ يقول: **" ثمّ وعد عليه السّلام بظهور دولة أخرى، فقال : (وعن قليل تلتفّ القرون بالقرون) ، وهذا كناية عن الدّولة العبّاسيّة التي ظهرت على دولة بني أميّة، والقُرون : الأجيال من النّاس، واحدها قَرْن بالفتح، ويحصد القائم ، ويحطّم المحصود : كناية عن قتل الأمراء**

---

[1] يُنظر: المعتزليّ ، ابن أبي الحديد . شرح نهج البلاغة ، م1 ، ج132/1 .

[2] يُنظر: البحرانيّ ، كمال الدّين ميثم بن عليّ بن ميثم. شرح نهج البلاغة، دار الحبيب للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة، قم ، إيران ، ط2 ، 1430 هـ ، م (5-1) ، ج410/3 .

من بني أميّة في الحرب ، ثمّ قتل المأسورين منهم صبراً ، فحصد القائم قتل المحاربة ، وحطم الحصيد : القتل صبراً " [1] .

فجاء تفسير هذه الكنايات عند الشّارح المعتزليّ دالاً على دولٍ ، وأشخاصٍ بعينهم ، تعرّضوا لحوادث تشبه تماماً ما دلّ عليه الإمام عليّ في هذه الخطبة .

ج- الفضاء الدّلاليّ البعيد :

يختلف هذا الفضاء الدّلاليّ للمركّب الكنائيّ عن الفضاء القريب في كيفيّة الانتقال من المعنى الأوّل إلى المعنى التّأويليّ الكنائيّ ، ويتميّز عنه بعمقٍ فنّيّ يتجلّى في قدرة المبدع على تأجيل ولادة الدّالّ الكنائيّ المُراد ، فلا يخرج إلاّ بعد محاولات ، ووسائل في التّحوّلات الدّاخليّة في متن البنية نفسها ، ممّا يُغني التّعبير الكنائيّ ، ويخصّب فنّيّته ، ويُبعده عن قرب المأخذ الذي يشوّه المتعة الفنّيّة عند المتلقّي ، ممّا يجعل الأخير يسعى نحو الدّالّ المراد سعياً حثيثاً ، يرتّب من خلاله الوسائط للوصول إلى الدّالّ المطلوب ، بما يروي ظمأه الفنّيّ ، ولا يفسد عرى التّواصل بين المبدع والمُتلقّي ، وإلاّ مات النّصُّ ، وماتت معه الدّلالة [2] ، ممّا يَسِم هذا الفضاء بسمة غير المباشرة ، والعمق الإبداعيّ ؛ إذ في هذا النّمط يتمّ الانتقال إلى معنى المعنى من خلال وسائط عدّة تمثّل الدّوائر التي يتحرّك فيها ذهن المُتلقّي ، بغية التّوصّل إلى مراد المبدع [3] ، فالتّعابير الكنائيّة التي تنتمي إلى هذا الفضاء يحتاج معها المُتلقّي إلى جهد ، وتفكّر للوصول إلى معانيها المُرادة ، من مثل قول الإمام عليّ :

" **وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أنفَ هَذا الأمرِ وعَيْنَهُ ، وقَلّبْتُ ظَهْرَهُ وبَطْنَهُ** " [4] .

تتمركز الصّورة الكنائيّة في هذا النّصّ في قوله (قلّبتُ ظهره وبطنه) ، وفي هذا القول كناية عن تقصّيه الدّقيق ، وتحرّيه الفكريّ العميق لوجوه الآراء المُتعدّدة المُتعلّقة بالأمر المُتكلَّم عليه ، حتّى وصل إلى القرار الصّحيح فيما يخصّه ، وكان انتقال الدّلالة الكنائيّة على الشّكل الآتي :

قلّبت ظهره وبطنه	تفحّصت ظاهره وباطنه	فكّرت في أوجه حلّ هذا الأمر الظّاهرة والخفيّة

وينفتح الدّالّ الكنائيّ (قلّبت) على مدلولات عدّة، وهي " الاختبار، التّفحّص ، التّدقيق ، البحث ، التّبصّر ، التّعمّق " ، مُعطياً الصّورة الكنائيّة المذكورة بُعداً عميقاً يجعلها تنتمي إلى الفضاء الدّلاليّ المذكور .

وفي قول الإمام عليّ :

" **ثمّ خلقَ سبحانَهُ لإسكانِ سمواتِهِ، وعمارةِ الصّفيح الأعلى من ملكوتِهِ خلقاً بديعاً من ملائكتِهِ ، ومَلأَ بِهِمْ فروجَ فجاجِهَا ، وحَشَا بهمْ فتوقَ أجوائِهَا ، وبينَ فجواتِ تلكَ الفروجِ زَجَلُ المُسبِّحينَ منهمْ في حَظَائِرِ القدسِ ، وسُتَرَاتِ الحجبِ ، وسُرَادقاتِ المجدِ ، ووراء ذلكَ الرّجيج الذي تستكُّ منه الأسماعُ سبحاتُ نورٍ تردعُ الأبصارَ عنْ بلوغِها ، فتقفُ خاسِئةً على حدودِهَا** " [5] .

---

[1] المعتزليّ ، ابن أبي الحديد . شرح نهج البلاغة ، م4 ، ج67/7 .

[2] يُنظر : الدّسوقي ، د. محمّد السّيّد أحمد . شعريّة الفنّ الكنائيّ بين البُعد المعجميّ والفضاء الدّلاليّ المنفتح ، ص125-126 .

[3] يُنظر : عليّ ، إبراهيم جابر . المستويات الأسلوبيّة في شعر بلند الحيدري ، دار العلم والإيمان للنّشر والتّوزيع ، دسّوق ، ط1 ، 2010 م ، ص447 .

[4] ابن أبي الحديد المعتزليّ ، شرح نهج البلاغة ، م1 ، ج426/2 .

[5] ابن أبي الحديد المعتزليّ ، شرح نهج البلاغة ، م3 ، ج442/6-443 .

في هذا المقطع من الخطبة يتكلّم الإمام عليّ على خلق الملائكة ، وعلى عبادتهم لله عزّ وجلّ ، وعلى أصوات تسبيحهم له ، فبرز في هذا النّصّ تعبيران كنائيّان يستدلّ من خلالهما المُتلقّي على بعض الحقائق ، وفقاً للآتي :

الكناية الأولى : تتموضع في قوله عن زجل الملائكة الموصوف بالرّجيج ؛ أي الاضطراب لشدّة الخشية " تستكّ منه الأسماع " ؛ إذ تُؤدّي قراءتها ، واستكشاف معانيها ، ودلالاتها الكامنة فيها إلى فهمها وفقاً للمخطّط الآتي :

تستكّ منه الأسماع	شدّة علوّ صوت المسبّحين	كمال استغراقهم في عبادة الله	اتّصاف الحضرة الإلهيّة بصفات الكمال والجلال والرّهبة

فقد كانت عبارة " تستكّ منه الأسماع " معبّأة بحمولة دلاليّة، ومعنويّة كنائيّة نضّاحة بالمدلولات البعيدة، العميقة التي يحتاج المُتلقّي إلى كدّ ذهنٍ ، وشحذ قريحة لاستخلاصها كما تقدّم.

الكناية الثانية : تتجلّى في قوله عن سبحات النّور " تردع الأبصار عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها " ففي هذه العبارة تتفتّق معانٍ كنائيّة خفيّة تتضح بها تراكيبها ، ودلالاتها على الشّكل الآتي :

ردع الأبصار عن بلوغ سبحات النّور ووقوفها خاسئة	عجز المخلوقين عن إدراك النّور الإلهيّ	كمال النّور الإلهيّ المطلق وشدّة سطوعه	تنزيه النّور الإلهيّ عن الإحاطة والإدراك

في هذه الصّورة الكنائيّة تتوالد مدلولات العبارة ، حتّى يصل المُتلقّي إلى فكرة مفادها أنّ النّور الإلهيّ منزّه عن إدراك المخلوقين ؛ لأنّ هذا مقام ممنوع عليهم الدّخول إلى رحابه لعجزهم ، وضعفهم أمامه، ممّا يجعل الدّالّ الكنائيّ " تردع الأبصار عن بلوغها " منفتحاً على مدلولات : " محاولة الخلق إدراك أسرار الألوهة ، عجزهم عن بلوغ شيء منها ، كمال سطوع النّور الإلهيّ ، إثبات صفات الجلال ، والهيبة ، والقدرة له ... " .

فهذه النّماذج المؤمثلة للفضاء الدّلاليّ البعيد للكناية في الخُطب المدروسة تعطي الباحث إشارة مهمّة تحثّه على البحث في اكتناه الدّلالات الخفيّة التي تبثّها هذه الصّور الكنائيّة ، واستفراغ الوسع في البحث عن المعاني المتوالدة من المعنى الأوّل ، والسّعي إلى القبض على أسرار تشكّلاتها الأسلوبيّة في نماذجها النّصّيّة المُتحقّقة .

د- الفضاء الدّلاليّ الغائم :

يقوم هذا الفضاء على حالةٍ من التّأويل الذي يستكنه البعد الخفيّ من التّعبير الكنائيّ ، ويقوم بإظهار دلالة جديدة لا يظهرها القالب الصّياغيّ له ، بل يمكن للمُتلقّي استشفافها ، واستنطاقها ، وقراءتها بالاعتماد على الذوق ، والاستبطان للمدلولات العميقة لعناصر الصّياغة الكنائيّة ؛ إذ " يعتمد المُتلقّي في هذا الفضاء الكنائيّ على الحركة الذهنيّة الرّأسيّة القائمة في النّصّ بكامله ؛ إذ إنّه – أي المُتلقّي – يقوم على تخطّي التّشكيل الصّياغيّ المباشر ، ثمّ يأخذ يستنطقه بدلالة بديلة لم تكن مهمّة الصّياغة إنتاجها أصلاً ، بيدَ أنّه ينتجها بتعامله مع فضاء الصّياغة اللّغويّة بما تحويه من إشارات ضوئيّة تساعد على اكتشاف الدّلالة وتكثيف الصّورة"[1] .

فمثل هذا الفضاء يتّسم بعدم الوضوح، والغائميّة ، كما أنّ الدّلالة الكنائيّة هنا تتّصف بالسّمة التّعريضيّة التي يتمّ فيها تجاوز المنطوق في مستواه السّطحيّ ، والعميق ، والتّعلّق بالإضافات الدّلاليّة الطّارئة من السّياق ؛ إذ يفهم حينئذٍ من اللفظ معنى لم يقصد استعمال اللفظ فيه أصلاً ، فأساس استعمال هذا المستوى هو الصّياغة الحقيقيّة ، ثمّ يكون تجاوزها مردوداً إلى السّياق ؛ إذ يمكن الاستغناء – والحالة هذه – عن المعنى الحرفيّ للفظ الكناية ، فلا يفهم الكلامَ

[1] علي ، إبراهيم جابر . المستويات الأسلوبيّة في شعر بلند الحيدريّ ، ص448 .

سامعُه إلاّ إذا قاسم المُتكلّم جملة معلومات تعينه على فهمه ، فيقوم الفهم في هذا النّمط من الكنايات على ما يشبه المواضعة بينهما [1] ، مثل قول الإمام عليّ :

" اللهمَّ إنّي أوّلُ من أنابَ وسمعَ وأجابَ ، لم يسبقني إلاّ رسول الله (ص) بالصّلاة، وقد علمتمْ أنّه لا ينبغي أنْ يكونَ الواليَ على الفروج والدّماءِ والمغانمِ والأحكامِ وإمامةِ المسلمين البخيل ، فتكون في أموالهم نهمتُهُ ، ولا الجاهلُ فيضلّهمْ بجهلهِ ، ولا الجافي فيقطعَهُمْ بجفائِهِ ، ولا الحائفُ للدّولِ فيتّخذَ قوماً دون قومٍ ، ولا المرتشي في الحكمِ ، فيذهبَ بالحقوقِ ، ويقفَ بها دونَ المقاطعِ ، ولا المعطّلُ للسُّنّةِ ، فيهلكَ الأُمّةَ " .

يبدأ الإمام عليّ هذا المقطع من الخطبة بالتّكلّم على نفسه ، فيصف ذاته بالأسبقيّة للإسلام ولإجابة دعوته ؛ لذلك فهو أحقّ بتولّي زمام قيادة المسلمين من سواه ؛ لأنّ أسبقيّته للإيمان بالدّين المُحمّديّ لم تكن إلاّ لوجه الله ، وليس لمطمعٍ دنيويّ ، ممّا يُؤكّد أنّه يستحقّ أن يكون من أقرب المقرّبين إلى الرّسول ، ومن أحقّ النّاس باستلام مقاليد ولاية المسلمين ، ممّا ينفي عنه الموانع السّتّة التي تمنع من يتّصف بإحداها أن يكون والياً على أهل الإسلام ، وهي الاتّصاف بالبخل ؛ لأنّ البخيل سيستولي على المال العامّ بالباطل ، والاتّصاف بالجهل ؛ لأنّ الجاهل سيفتي من تلقاء نفسه من دون دليل علميّ ، أو شرعيّ يحميه من الوقوع في الزّلل ، وإضلال غيره ، فلا بدّ للوالي من أن يكون عالماً بالشّرائع ، والسّنن ، والأحكام كي يهدي غيره ، ويستطيع بعلمه الابتعاد عن مواطن الخطأ ، والضّلالة ، والاتّصاف بالغلظة ، والقسوة ، فالوالي المُتّصف بهاتين الخلّتين ستنقطع صلاته مع رعيّته ، ويحتجب عنهم ، ويضرب بينه وبينهم سجافاً غليظاً من القطيعة والبعد ، والجفاء ، والاتّصاف بالظّلم والجور ؛ لأنّ الوالي الظّالم سيمنع من اقتسام المال بشكل عادل بين رعيّته ، والاتّصاف بأخذ الرّشى من المُتخاصمين ؛ لأنّ الوالي المرتشي سيحكم للظّالم الذي أعطاه الرّشوة بالحقّ ، ممّا سيُؤدّي إلى ضياع حقّ المظلوم ، وذهابه ، وتعطيله ، والاتّصاف بمعاداة السّنّة ، وتعطيلها ، فالوالي المُعطِّل لها ، والمُغيّر لأحكامها سيطمس أحكام الإسلام ، وسيعيد الجاهليّة الجهلاء كما كانت قبل مجيئه [2] .

وفي هذا الكلام تعريض ، وتقريع ، وتأنيب لمن يتصدّى للحكم والولاية بين الرّعيّة ، وهو يتّصف بهذه الصّفات الرّديئة ، أو بإحداها ، وحثّ على الابتعاد عنها ، وعمّن يتّصف بها ، كما فيه إيقاظ لهمم المسلمين ، وشحذ لعزائمهم بغية الاتّصاف ، والتّخلّق بأخلاق ، وصفات تعاكس تماماً صفات الوالي الظّالم الذي ذكرها قبلاً؛ أي الحضّ على التّحلّي بالكرم، والعلم، والمعرفة ، واللين، والإنصاف ، ومعرفة أحكام سنّة الإسلام معرفةً دقيقةً ، وغيرها من محامد الصّفات ، وشريف الخِلال .

خاتمة :

تُظهر النّماذج التي نُوقشت تحت أنماط هذه الفضاءات الدّلاليّة المُتباينة الأثر الذي يمكن أن تُولّده هذه المركّبات الكنائيّة وفقاً لطبيعة العلاقة بين النّاتج الصّياغيّ ، والمنتوج الدّلاليّ البعيد ؛ لأنّ فهم هذه المركّبات التّصويريّة وفقاً لمعجميّتها الثابتة لا يحقّق شيئاً من الفرادة والتّميّز ، والإبداع ، ودخول هذه المركّبات الكنائيّة في السّياق

---

[1] يُنظر : عبد المطّلب ، د. محمّد . البلاغة العربيّة – قراءة أخرى ،ص194 . ويُنظر : الزّناد ، الأزهر . دروس في البلاغة العربيّة – نحو رؤية جديدة ، المركز الثقافي العربيّ للنّشر والتّوزيع ، الدّار البيضاء ، المغرب العربيّ ، ط1 ، 1992 م ، ص90 .

[2] يُنظر : المعتزليّ ، ابن أبي الحديد . شرح نهج البلاغة ، م4 ، ج8/366-367 .

النَّصِّيّ ، جعلها تتفاعل إبداعيّاً مع مكوّناته الأخرى ، ومكّن المُتلقِّي من فهمها ، واكتناه أسرارها ، وإدراك درجة تأثيرها ، ومعرفة المُراد منها بشكل صحيح ، إلاّ أنّ محدوديّة الدّراسة لا تسمح بمزيد من الشّواهد ؛ لذلك اقتصرت على بعض النّماذج المُؤمثلة التي تُبيّن إشاريّة هذه المُركّبات ، وقوّة تأثيرها وفاعليّتها ، وحركيّتها ، وحريّة انفتاحها في الخُطب المدروسة .

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- الأمين ، محاسن محمّد . *الكناية في شعر حافظ إبراهيم* ، مجلّة العلوم الإنسانيّة ، السّودان ، مجلّد 18

(3) ، 2017 م .

2- البحرانيّ ، *كمال الدّين ميثم بن عليّ بن ميثم. شرح نهج البلاغة*، دار الحبيب للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة، قم ، إيران ، ط2 ، 1430 هـ .

3- الجرجاني، الإمام عبد القاهر . *أسرار البلاغة في علم البيان* ، صحّحه وعلّق حواشيه السّيد محمّد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، 1981 م .

4- الجرجانيّ ، الإمام عبد القاهر . *دلائل الإعجاز* ، تصحيح وتعليق : السّيّد محمّد رشيد رضا ، مديريّة الكتب والمطبوعات ، سوريا ، 1988-1989 م .

5- الجرجانيّ ، عليّ بن محمّد السّيّد الشّريف . *معجم التّعريفات* ، تحقيق ودراسة محمّد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع والتّصدير ، القاهرة – مصر ، 2004 م .

6- جريكوس ، د. تيسير . *بلاغة الصّورة في شعر عبد الوهّاب البيّاتي* – دراسة تحليليّة جماليّة ، إشراف أ. د. أحمد كمال زكي ، جامعة عين شمس ، مصر ، 1996 م .

7- الدّسوقي ، د. محمّد السّيّد أحمد . *شعريّة الفنّ الكنائيّ بين البُعد المعجميّ والفضاء الدّلاليّ المنفتح* ، دار العلم والإيمان للنّشر والتّوزيع ، الإسكندريّة ، مصر ، ط1 ، 2008 .

8- الزّناد ، الأزهر . *دروس في البلاغة العربيّة* – نحو رؤية جديدة ، المركز الثقافي العربيّ للنّشر والتّوزيع ، الدّار البيضاء ، المغرب العربيّ ، ط1 ، 1992 م .

9- السّكّاكيّ ، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمّد بن عليّ . *مفتاح العلوم* ، ضبط وتعليق نعيم زرزور ، دار الكتب العلميّة ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1987 م .

10- العاكوب ، د. عيسى . *المفصّل في علوم البلاغة ، البديع والبيان والمعاني* ، منشورات جامعة حلب ، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، 2000م .

11- عبد الخالق ، د. ربيعي محمّد علي . *البلاغة العربيّة وسائلها وغايتها في التّصوير البيانيّ* ، دار المعرفة الجامعيّة ، الإسكندريّة ، 1989 م .

12- عبد المطّلب، د. محمّد . *البلاغة العربيّة – قراءة أخرى* ، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر ، لونجمان ، ط2 ، 2007 م .

13- عليّ، إبراهيم جابر . *المستويات الأسلوبيّة في شعر بلند الحيدري*، دار العلم والإيمان للنّشر والتّوزيع ، دسّوق ، ط1 ، 2010 م.

14- القزوينيّ ، الخطيب . *الإيضاح في علوم البلاغة ، المعاني والبيان والبديع* ، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدّين ، منشورات دار الكتب العلميّة ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2003 م .

15- المدني ، كريمة نوماس محمّد . *البنيات الأسلوبيّة للكناية في الرّسائل المشرقيّة الفنّيّة إبّان القرن الثامن للهجرة* ، مجلّة أهل البيت ، العراق ، ع16 ، السّنة العاشرة ، حزيران ، 2014 م .

16- المعتزلي، ابن أبي الحديد. *شرح نهج البلاغة* ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربيّ ، بغداد ، ط1 ، 2007 م.

17- ابن منظور ، *أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم* . لسان العرب ، منشورات الأعلميّ للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2005 م .

18- مورو، فرانسوا. الصّورة الأدبيّة، ترجمة الدّكتور علي نجيب إبراهيم، دار الينابيع، دمشق ، 1995 م .

List the sources and references

The Holy Quran

1- Al-Amin, Mahassen Muhammad. *The metonymy in the poetry of Hafez Ibrahim*, Journal of Human Sciences, Sudan, Vol. 18

(3), 2017 AD.

2- Al-Bahrani, Kamal Al-Din Maytham bin Ali bin Maytham. *Explanation of Nahj al-Balagha, Dar al-Habib for printing, publishing, distribution and translation*, Qom, Iran, 2nd edition, 1430 AH.

3- Asrar al-Balagha fi a'lm al-baian, Abd al-Qaher al-Jurjani, *Evidence of Miracles, Correction and Commentary:* Mr. Muhammad Rashid Rida, Dar al-ma'refa, , Beirut – Lebanon, 1981 .

4- Al-Jurjani, Imam Abdul Qaher. *Evidence of Miracles, Correction and Commentary: Mr. Muhammad Rashid Rida*, Directorate of Books and Publications, Syria, 1988-1989.

5- Al-Jurjani, Ali bin Muhammad Al-Sayyid Al-Sharif. Dictionary of definitions, investigation and study by Muhammad Siddiq Al-Minshawi, Dar Al-Fadilah for Publishing, Distribution and Export, Cairo - Egypt, 2004 AD.

6- Grikos, pro. Tayseer. *The eloquence of the image in the poetry of Abd al-Wahhab al-Bayati - an aesthetic analytical study*, supervised by Pro. Ahmed Kamal Zaki, Ain Shams University, Egypt, 1996 AD.

7- El-Desouky, pro. *Mohamed El Sayed Ahmed. The Poetry of Metonymic Art between the Lexical Dimension and the Open Semantic Space*, House of Science and Faith for Publishing and Distribution, Alexandria, Egypt, 1, 2008.

8 Al-zenad, Al-Azhar. Lessons in Arabic Rhetoric - Towards a New Vision, *The Arab Cultural Center for Publishing and Distribution*, Casablanca, Maghreb, I 1, 1992 AD.

9- Al-Sakaki, Abu Yaqub Yusuf Ibn Abi Bakr Muhammad Ibn Ali. *Miftah al-Ulum, Editing and Commenting by Naim Zarzour*, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 2nd Edition, 1987 AD.

10- Al-Akoub, pro. Issa . Al-Mofassal in the Sciences of Rhetoric, Al-Badi', *Al-Bayan and Al-Ma'ani, Aleppo University Publications, College of Arts and Humanities*, 2000 AD.

11- Abdel-Khalek, pro. Rabiei Muhammad Ali. *Arabic rhetoric, its means and purpose in graphic representation*, Dar Al-Ma`rifa Al-Jami`iyyah, Alexandria, 1989.

12- Abdul Muttalib, pro. *Mohammed . Arabic Rhetoric - Another Reading, The Egyptian International Publishing Company*, Longman, 2nd Edition, 2007 AD.

13- Ali, Ibrahim Jaber. *Stylistic Levels in the Poetry of Baland Al-Haidari,* Dar Al-Ilm and Al-Iman for Publishing and Distribution, Desouq, 1st Edition, 2010 AD.

14- Al-Qazwini, Al-Khatib. *Clarification in the Sciences of Rhetoric*, Al-Ma'ani, Al-Bayan and Al-Bada'i, put in footnotes by Ibrahim Shams Al-Din, Dar Al-Kutub Al-Ilmia Publications, Beirut - Lebanon, 1, 2003 AD.

15- Al-Madani, Karima Nomas Muhammad. *The stylistic structures of the metonymy in the artistic oriental messages during the eighth century of migration,* Ahl al-Bayt Magazine, Iraq, Vol. 16, the tenth year, June, 2014.

16- Al-Mu'tazili, Ibn Abi Al-Hadid. Explanation of Nahj al-Balagha, investigated by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Kitab al-Arabi, Baghdad, 1, 2007 AD.

17- Ibn Manzur, Abul Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Makram. Lisan Al-Arab, Al-Alamy Publications, Beirut - Lebanon, 1st Edition, 2005 AD.

18- Moreau, Francois. Literary I*mag*e, *translated by pro. Ali Najeeb Ibrahim, Dar Al-Yanabi`, Damascus, 1995*.